الفوضى العارمة ليست مشهدا مرعبا، بل هي جزء من خطة اليمين المتصهين

21-4-2003

ستزج كل أزمة القوات الأمريكية إلى المنطقة، وكل إجراء مضاد تباعا سيثير المشاكل التي لا يمكن أن تحل إلا باشتراك وتورط أمريكي إضافي، إلى أن تتولى حكومات "ديمقراطيّة" حكم منطقة "الشرق الأوسط" بالكامل!.

الفوضى في العراق ليست وضعا مرعبا بالنسبة "لصقور" بوش، وإنما هي جزء من خطتهم. أحد "المشاهد" التي رسمها اليمين المتصهين للوضع بعد ستة أشهر من الآن يبدو كالتالي: انتهت حرب العراق. بعد إفاقة من هول ما حدث، والتخلص من صدام, شعب العراق يشاهد، يترقب، ينتظر و يبدأ في التضايق من الإحتلال الأمريكي. عبر الحدود, في سوريا, المملكة العربية السعودية وإيران, وجود القوات الغازية يجلب احتجاجات الشارع و تصعيد الموقف. الأمم المتحدة و الناتو في حالة من الفوضى. واشنطن تئن من العجز في الميزانيّة و المساعدة المالية المحدودة من الحلفاء, إدارة بوش تتحدث ثانية عن توظيف إحتياطي النفط العراقي لتعويض بعض تكاليف الوجود الأمريكي، هذا الحديث يلهب المنطقة أكثر. في أثناء ذلك, المخابرات الأمريكية تكتشف "الدليل الجديد"، أنه قبيل الحرب, حرك صدام كميات الأسلحة البيولوجية والكيميائية إلى سوريا. عندما تنكر سوريا الامتلاك مثل هذه الأسلحة, الإدارة تبدأ في حشد القوات على الحدود السورية. لكن في الوقت الذي يبدأون فيه بالتحرك, يحدث انفجار : يفجّر عناصر من حزب الله من جنوبي لبنان أنفسهم في مطعم في بغداد, يقتلون العشرات من الغربيين. توم ريدج وزير الأمن الداخلي يضع أمريكا على خانة الإنذار البرتقالي. ليندفع عملاء مكتب التحقيق الفيدرالي إلى المساجد, في حملة اعتقالات جديدة للسعوديين, الباكستانيين, الفلسطينيين واليمنيين . بالنسبة لمعظم الأمريكيين, يبدو هذا "السيناريو" مثل وضع مخيف, الأمر الذي سيقودهم إلى التساؤل كيف و لماذا أقحمنا أنفسنا في هذه الفوضى. لكن بالنسبة لصقور إدارة بوش, هذا ليس وضعا مرعبا، إن كل شيئ يتحرك وفق المنحى المتوقع.

في رؤيتهم, لم يكن غزو العراق من أجل التخلص من صدام حسين فقط، ولا كان للبحث عن أسلحة الدمار الشامل, رغم أن التخلص من صدام وأسلحة العراق كان "مكسبا" مهما لهم. إلى حد ما, الإدارة الأمريكية ترى في عملية الغزو التحرك الأولي في مجهود أوسع لإعادة ترتيب منطقة "الشرق الأوسط" بالكامل. في فبراير الماضي, وكيل وزارة الخارجية جون بولتون (أحد الصقور) أخبر المسؤولين الإسرائيليين بأنه بعد "هزيمة" العراق, فإن الولايات المتّحدة ستتعامل مع إيران, سوريا و كوريا الشمالية .كان مؤيدو نزعة المحافظين الجدد من الصحفيين يوجهون تفكير الإدارة. خلال الشهر الماضي، كتب أحد محرري مجلة اليمين المتصهين The Weekly Standard بأنه في منطق الإدارة "هناك حرب عالمية بين الولايات المتحدة والجناح السياسي للأصولية الإسلامية ... وتصل

شرارة هذه الحرب إلى غزو العراق, أو أسر قادة القاعدة الكبار, ويجب أن يُنظر لها كأحداث تكتيكية في سلسلة من التحركات والتحركات المضادة في المستقبل".

فجأة, الإدارة تحاول زحزحة الطاولة، لاستخدام القوّة العسكرية الأمريكية, أو التهديد باستعمالها, لـ"إصلاح" أو قلب عمليا كل نظام في المنطقة, من الأعداء مثل سوريا إلى الأصدقاء مثل مصر, انطلاقا من أن الطبيعة غير "ديموقراطية" لهذه النظم هي التي ولدت "الإرهاب". لذا الأحداث التي قد تبدو سلبيّة - حزب الله للمرة الأولى يستهدف المدنيين الأمريكيين, الجنود الأمريكيون يعدون للحرب مع سوريا، وفق السيناريو الذي تعرضنا له في بداية المقال-, في الواقع هي جزء من جدول أعمال اليمين المتصهين الواسع. ستزج كل أزمة القوات الأمريكية إلى المنطقة، وكل إجراء مضاد تباعا سيخلق المشاكل التي لا يمكن أن تحل إلا باشتراك وتورط أمريكي إضافي، إلى أن تتولى حكومات "ديمقراطيّة" حكم منطقة "الشرق الأوسط" بالكامل!.

هناك كمية خداع مذهلة في كل هذا، اليمين المتصهين يخدع الشعب الأمريكي, و ربما في بعض الحالات يخدع نفسه. و سجل هذا الجناح الذي يُعرف دعائيا بـ"الصقور" حتى الآن لا يمنحهم ثقة الأمريكيين، فضلا عن غيرهم. ولكن بالرغم من أخطائهم المتتالية والفادحة, فإن الصقور ملتزمون بجدول أعمالهم الجديد والشامل .مثل أي مجموعة من ثوار واشنطن الدائمين مدفوعين بأحلام القضية الصحيحة, قرر المحافظون الجدد منذ وقت طويل أن النقد من المؤسّسة ليس سببا لعدم الثقة بالنفس، لكن الأكيد، أنهم على المسار الصّحيح!. مواجهة شاملة بين الولايات المتحدة و "الإسلام السياسي", يعتقدون أنها قضية حتمية، فلم لا تحدث الآن حسب شروطنا, بدلاً من أن نُجر إليها لاحقا وفق شروطهم؟.

منذ ظهور "المحافظين الجدد" على مشهد السياسة العامة من حوالي 30 سنة, فإن حركتهم كانت زواجا بين مثاليّة أخلاقية, ثقة عسكرية وخداع مفضوح. بالعودة إلى أوائل السبعينيات, هذه المجموعة المشكلة من سياسيين ومفكرين، أصيبت بالذعر بسبب – حسب روايتهم- لا مبالاة الديمقراطيين إزاء التهديد السوفييتي في مرحلة ما بعد فيتنام. كانوا مرعوبين ومصدومين بالنظرة الخاصة الفاقدة لحس المسئولية الأخلاقية المعتنقة من قبل جمهوريي المؤسسة مثل هنري كيسنجر الذي بحث عن التعايش مع الاتحاد السوفيتي، على حد وصفهم.

وجد "المحافظون الجدد" في الرئيس رونالد ريجان السياسي الذي يمكن أن يحتضنوه. تكلم ريجان علانية عن شرور الشيوعية – مثلما تكلموا- وفضل التراجع على التعايش. ملأ "المحافظون الجدد" إدارة ريجان, وزود أمثال بول وولفويتز, ريتشارد بيرل, فرانك جافني و آخرون الثقل الفكري والحماس "الأخلاقي" للتحول نحو المواجهة التي استخدمتها الولايات المتحدة في عام 1981 . لكن تحقيق ما يدَعون أنه "وضوح أخلاقي" يتطلب إخفاء حقائق معينة. من البداية, "المحافظون الجدد" تبنوا رؤية مبالغة لقدرات ونوايا سوفييتية أكثر بكثير من معظم الخبراء. في أواخر 1980, حذر بودوريتز نورمان "اليميني المتشدد من Finlandization "فنلندة" (فنلندا) الوشيكة لأمريكا, التبعية الاقتصادية و السياسية للولايات المتحدة للقوة العظى الاتحاد السوفييتي, تزيد من احتمال حصر خيارات أمريكا في الإستسلام أو الحرب.

هذا الاستعداد لخدعة (أنفسهم والآخرين) كبر في وقت أصبح فيه "المحافظون الجدد" أكثر ارتياحا للسلطة. وكثير منهم قضى سنواته مع الرئيس ريجان في تدبير الحروب الدموية ضد الموالين للسوفيت في العالم الثالث, وتصويرهم لمتمردين مثل "الكونترا النيكاراجوي" والقتلة مثل "جوناس سافيمباي" من أنجولا كـ"مقاتلين أحرار" أو "مناضلين"، وقد بلغ هذا الغش مداه بفضيحة كونترا إيران.

وما حدث في التسعينيات، رسخ أكثر تلك العقلية. "الصقور" مثل بيرل و ويليام كريستول شعروا باحتقان شديد، عندما ترك "الكيسينجيريون" مثل برنت سكوكروفت و كولين باول نظام صدام قائمًا بعد حرب الخليج الثانية. واعتبروا اتفاقيات أوسلو خطأ واضحا (كيف يمكن لك أن تتفاوض مع رجل مثل ياسرعرفات ؟), ومع توالي الأحداث، أصبحوا مقتنعين بشكل متزايد أن هناك شبكة عالمية تربط "فلول الإرهاب"، وكذا تاميا لمعاداة السامية. في عام 1996, العديد من "الصقور" حاولوا تسويق فكرة لرئيس الوزراء الإسرائيلي بنجامين نتنياهو، مفادها أن على إسرائيل أن تهاجم صدام لمصلحتها الخاصة. عندما تفتتت عملية أوسلو ووقعت أحداث سبتمبر، شعر اليمين المتصهين أنه قد حانت لحظته، وأنه قد رأى هذا الخطر, بينما تجاهله الآخرون. ووصلوا إلى تصوير مشهد تحريضي عبر مقارنة تضليلية : "الشرق الأوسط" اليوم مثل الاتحاد السوفيتي من 30 سنة . "الأصولية شاذة سياسيا" هي النظير الحديث للشيوعية أوالفاشية. وأن السبب الرئيسي لكل هذا الخطر هو الديكتاتورية المستشرية في العالم العربي, الفساد, الفقر والركود الاقتصادي، وأن العنف المحلي غير قادر على الإطاحة بالحكام المتسلطين.

وتختلف خطة "الصقور" باختلاف الطرف المقابل, لكن الخلاصة الأساسية أخذت الطابع الآتي: تنشئ الولايات المتحدة حكومة مؤيدة للغرب، ونموذج العراق "الديمقراطي" سيغير جوهريا الحيوية السياسية للمنطقة. عندما يرى الفلسطينيون عراقيين عاديين يتمتعون بالحرية الحقيقية والتحسن الاقتصادي, سيطالبون بالعيش تحت هذا النموذج، وبإصلاح السلطة الفلسطينية و التفاوض مع إسرائيل. وهذا يؤدي تباعا إلى اتفاقية سلام حقيقي بين الإسرائيليين والفلسطينيين. و سيعجل العراق "الديمقراطي" أيضا بسقوط "نظام الملالي الأصولي" في إيران التي سيتبنى مواطنوها تدريجيا موقفا متعاطفا ومؤيّدا للغرب معاكس للمتعصب الرسمي. و"دمقرطة" إيران هي الحلقة المكملة لسلسلة الحكومات المؤيّدة للغرب في المنطقة(تركيا, العراق و إيران)، أما الأردن فهو مضمون، سوريا ستكون تذكرة شاحبة لا أكثر لعهود قديمة بالية، في حين ستتدرج إمارات الخليج في مدارج "الديمقراطية"، كما أن السعودية ومصر، لن ينظر إليها كما في السابق مثالا للدول المستقرة، وما إن تستقر الأوضاع سنقرر، إما أن نتجاهلهم كمشهد من العهود القديمة، أو نتعامل معهم، وسنكون في موقع أقوى، ولن نحتاج لمساعدتهم. قد تكون هذه الخطة أو الرؤية "جريئة" أكثر من اللازم، لكن لا يمكن استبعادها!.

للعودة للأعلى